العمليات الوظيفية في لغة الصحافة السواحيلية (دراسة وصفية)

أ. إيهاب شوقي السيد عبدالفتاح(*)

لا يمكن النظر إلى اللغة من منظور تركيبي مجردة عن سياقها الاجتماعي والثقافي، ووظيفتها التي وضعت من أجلها اللغة وهي التواصل، فلا تستقيم اللغة إن لم يستطع أصحابها أن يتواصلوا بها، فاللغة في الأساس ظاهرة اجتماعية تتأثر بالمنظومة الاجتماعية والثقافية وتؤثر فيها وتشترك كل النظريات اللغوية الوظيفية في التركيز على جانب الدلالة والاستخدام الفعلي للغة، والعوامل البرجماتية التي تؤثر في استخدامها والسياق ودوره الدلالي(١).

كما ارتبط مفهوم اللغة عند كثيرين بالوظيفة التي وضعت من أجلها وهي التواصل والتبليغ، فما فائدة اللغة إن لم تستخدم للتواصل بين متحدثيها، يذكر عادل رماش، قائلاً: "تتجلى وظيفة اللغة في المستويات الأربعة (الصوت والصرف والنحو والدلالة) ومنهم من يضيف مستوى آخرًا وهو التداولية وهي ما بعد الدلالة وفي نفس الوقت ظهرت النظرية الوظيفية"(٢)، ثم نظر كل واحد منهم إلى الوظيفية من منظور خاص، فمنهم من نظر إليها من المستوى الصوتي، ومنهم من نظر إليها من مستوى التركيب وآخر من مستوى الدلالة، ومنهم من ربط بين التركيب والدلالة كالعالم اللغوي فيرث وتلميذه هاليداي، وقد أظهر فيرث ذلك من خلال النظرية السياقية، يقول روبنز "واستفاض بعده هاليداي في الربط بين البنية والدلالة والعلاقات

* – كليات اللغات والترجمة – جامعة الأزهر

بين مكونات الجملة، كالعلاقة الاسنادية بين المسند إليه والمسند وذلك من خلال النظرية الوظيفية التي تعد تطويرًا للنظرية السياقية.

أدبيات النظرية الوظيفية عند هاليداي

١. ركز هاليداي في نظريته على فكرة أن التنظيم الداخلي للغة هو انعكاس للوظائف التي تؤديها، بمعنى آخر، حيث رأى أن المعنى هو الوظيفة، والوظيفة هي الاستخدام.

٢. استطاع هاليداي أن يجمع بين الجانب الشكلي والجانب السياقي والوظيفي في الوقت نفسه،

أقسام الكلام في النظرية الوظيفية عند هاليداي:

يتحكم الفعل في أقسام الكلام لدى هاليداي ويطلق عليه في النظرية الوظيفية "العملية" (*Process*) الذي يشير إلى كل ما يجري من أحداث بالجملة، وتتنوع مسميات المكونات الداخلية للجملة طبقا للعملية كالآتي:

١. عملية مادية (*Material process*)

٢. عملية ذهنية (*Mental process*)

٣. عملية علائقية (*Relational process*)

٤. عملية قولية (*Verbal process*)

كما أشار هاليداي إلى وجود عمليتين فرعيتين وهما (*existential process*) و (*behavioural process*) [٣]، أما الأولى فتتعلق بأفعال الوجود مثل (*there is, there was...*) وتحمل الأفعال فيها دلالة بين المادية والذهنية، ويمكن القول إنه في اللغة السواحيلية، تصف العمليات الوجودية الأفعال التي تتعلق بالوجود أو عدم الوجود، فمن أمثلة الأفعال السواحيلية التي يمكن تصنيفها كعمليات وجودية "*kuwepo*" (الوجود)، "*kutokea*" (الحدوث)، "*kupatikana*" (العثور)، و "*kutokuwepo*" (عدم الوجود). وتستخدم هذه الأفعال للتعبير عن وجود شيء ما بشكل عام، سواء كان ذلك وجود شخص، أو جسم، أو مكان، أو حدث.

بالإضافة إلى بعض الكلمات مثل "*kuna*" و "*ipo*"، وكلمة "*hapana*" التي تعني "لا يوجد".

وأما الثانية فتتعلق بالسلوك البشري مثل التنفس، والابتسام، والحلم، والتحديق.. وهكذا، وتحمل أفعالها دلالة بين المادية والعلائقية، ويمكن القول إنها الأفعال التي تصف سلوك الفاعل مثل "*kudanganya*" (للخداع)، "*kuhadaa*" (للغش)، "*kuficha*" (للإخفاء)، وغيرها.

وإذا كانت العملية مادية فتدل الأفعال في هذه الحالة على (*doing*) فعل حركي أو (*happening*) حدث، ويكون المشاركون في تلك العملية (*animate*) عنصر بشري، أو (*in-animate*) غير بشري، هذه العملية إما ان تكون لازمة (*intransitive*) وإما أن تكون متعدية (*transitive*)، وقد تتكون الجملة ذات العملية المادية – من المنظور الوظيفي – من مشارك واحد أو أكثر من مشارك، ويطلق على المشارك الفاعل (*actor*)، ولهذه الجملة عدة أنماط:

١. *Actor + process + goal*
٢. *Actor + process + goal + beneficiary*
٣. *Causer + process + actor + goal*
٤. *Causer + process + instrument + goal*
٥. *Causer + process + actor + beneficiary + goal*

وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

(١) *Muhammad alipika chakula.* طهى مُحَمَّد الطعام

actor process goal

فالفاعل في الجملة السابقة (*Muhammad*) ويطلق عليه *actor* والمفعول (*chakula*) ويطلق عليه *goal* والفعل (*-pika*) يطلق عليه *material process*.

وقد اكتملت عناصر الجملة من حيث الفاعل والعملية والهدف، وقد تأتي جملة بدون الهدف (*goal*) مثل: *Maria alikufa njaa* الفاعل فيها (*Maria*) والعملية (*kufa **njaa***) بمعني تحقق فيها *actor* و*process* فقط، والفيصل في ذلك هو الفعل، فإذا كان متعديا (*transitive*) يظهر عنصر (*goal*) وإذا كان لازما (*intransitive*) يختفي ذلك العنصر.

(٢) *Mimi nilinunua kitabu kwa John*
actor process goal beneficiary

يلاحظ في المثال السابق إضافة عنصر (*beneficiary*) المستفيد، دل عليه حرف الجر (kwa) الذ يحمل مع معنى (من أجل)، ويزيد أيضا هذا العنصر مع الأفعال المتعدية لمفعولين [٤] ويقع في هذه الحالة في موقع المفعول به الثاني، وذلك مثل:

Ahmad alimpa beneficiary Hamisi process zawadi goal
actor process beneficiary goal

وفي حالة المبني للمجهول يشغل (*beneficiary*) موقع الفاعل، وذلك كالآتي:

Hamisi alipewa process zawadi goal
S (beneficiary) process goal

(٣) *Baba mwanawe alimlazimisha kulima shamba*
causer process actor goal

وفي هذا المثال زاد عنصر المسبب (*baba*) ويطلق عليه (*causer*) فهو الذي تسبب في العملية، أما الفاعل الحقيقي فهو (*mwanawe*) (*actor*) وقد توسط المجموعة الفعلية – *lazimisha ... kulima*

(٤) *Hamisi aliifanya nyundo nyundo ivunje dirisha*
Causer + process + instrument + goal

وهنا في هذا المثال زاد عنصر (*instrument*) الآلة، ويمثل الفاعل الحقيقي الذي قام بكسر النافذة.

(٥) *Ali ampe alimfanya Hamis nyasi farasi*
Causer + process + actor + beneficiary + goal

ويلاحظ في المثال السابق زيادة عنصري المسبب والمستفيد، ويتضمن ٤ مشاركين اشتركوا في العملية المادية، مع اعتبار *ampe* جزء من المجموعة الفعلية.

كذلك قد يختلف دور الفعل ووظيفته داخل الجملة طبقا للكلمة التي تليه، فمثلا، الفعل (*took*) في *Muhammad took the money* أخذ مُحَمَّد المال، يختلف في الوظيفة عن *Muhammad took a bath*، أخذ مُحَمَّد حمامًا، حيث فرق هاليداي بينهما من الجانب الدلالي،

ففي المثال الأول يوجد (*goal*) وهو (*the money*) وهو شيء مادي ملموس، وفي المثال الثاني أطلق عليه (*range*) فالمدى الوظيفي يقصد به الاستحمام، وهنا في المثال الثاني يوجد مزج بين العملية والفاعل، كما أطلق هاليداي أيضا ضمن العملية المادية مصطلح (*range*) على الهدف (*goal*) المرتبط بالعملية (*process*) وبينهما علاقة مباشرة مثل *He sang a song*[٥]، حيث حللها كالآتي:

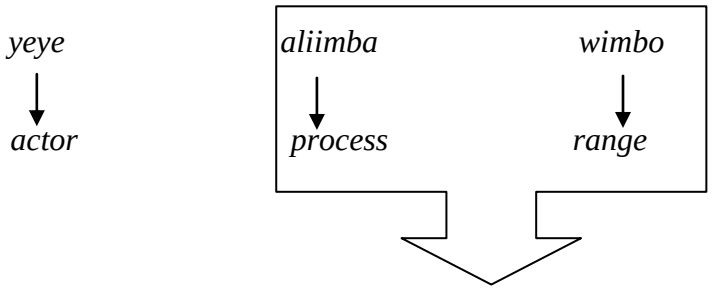

علاقة مباشرة تندرج تحت العملية المادية

وإذا كانت العملية ذهنية تتكون من *Sensor, Phenomenon*، وتنحصر دائرة العمليات الذهنية في الأفعال ذات الصلة بالنفس[٦] وهي تتمثل في ثلاثة أنواع:

١. *Reaction.*
٢. *Perception.*
٣. *Cognition.*

يتضمن النوع الأول أفعال الحب والكره والخوف والتفاجؤ والاحتقار والغضب، مثل:

- *mkewe anapenda Ndugu yangu*
  phenomenon mental proc Sensor

ويتضمن النوع الثاني أفعال الشعور والرؤية والاستماع، وذلك مثل:

- *Baba amemwona mwanawe.*

بينما يتضمن النوع الثالث الفكر والإيمان، والمعرفة، والفهم، والإدراك، وذلك مثل:

- *Watoto walifahamu hesabu*

ويشترط أن يكون الفاعل بشري (*animate participant*)

وإذا كانت العملية علائقية (*Relational Process*) يتم التعبير عنها في معظم الحالات بفعل الكينونة (*be*) أو (*have*) [٧] بتصريفاتهما، مثل *is, was were, had, has, have*، أو الأفعال التي تعمل على شاكلتهما، مثل (*seem, become, appear*) وفي السواحيلية *ni, ndiye* وبعض الأفعال مثل ***-kolea, ja****a fanana, onekana, Kabili, -enea, -kia,* وهكذا وتنقسم هذه العملية إلى:

أ- عملية نعتية (*Attributive Process*) ويقصد بها وصف أحد مكونات الجملة، ويطلق على الفاعل فيها *Carrier* ويطلق على المجموعة الفعلية *attribute*، وذلك مثل:

Ali	*akawa*	*daktari*
↓	↓	↓
Carrier	*Process*	*Attribute*

فالفعل (*akawa*) من فئة الأفعال الناقصة/ المساعدة التي تحمل وظيفة الربط بين (***carrier***) و (***attribute***).

كما يحتوي ذلك النوع على الملكية، ويطلق على الفاعل فيها *prossessor*، والمتمم *prossessed*.

ب- عملية محددة (*Identifying Process*) (تعيين/ تطابق) ويطلق على الفاعل فيها (*identified*) (مُعين الهوية) ويطلق على المجموعة الفعلية بعدها، (*identifier*)، وهذه العملية تأتي على ثلاثة أنواع:

١. (*intensive*) يمكن للفاعل (*identified*) أن يحل محل (*identifier*) وكما وصفها هاليداي تلك العملية التي تقبل عملية الانعكاس (*reversibility*) كمعادلة متطابقة مثل:

The island	*is*	*a more complex*
↓	↓	↓
Identified	*Process*	*Identifier*

وقد تأتي بالشكل التالي:

the island	*is*	*a more complex*
↓	↓	↓
Identifier	*process*	*Identified*

وهذا يشير إلى أن تغيير موقع كل من (*Identified*) و (*Identifier*) لا يوثر في وظيفة كل منهما.

ويتضمن (*intensive*) نوعين (*ascriptive*) وفي هذه الحال تحتاج الجملة إلى صفة بعد الفعل وموصوف قبل الفعل. أو (*equative*) وتشير إلى الفعل الرابط (*copula*).

وفي العمليات العلائقية، لا يوجد مشاركون حيث إن العملية لا تدل على أحداث أو أفعال.

٢. (*Circumstantial*) ويقصد بها العلاقة التي تصف العملية، بمعنى أنها تكون سمة للجملة، وتشير إلى الزمان والمكان والحال، وفد تأتي سببية (cause) وقد تأتي كموسعات للأفعال (*extend*) أو *manner* أو ***matter*** أو *accompaniment* وغيرها[٨]، ولا يتأثر أيضا تغيير موقع كل منهما على وظيفته. وذلك مثل:

- *Shamba lake limeendelea kutoka hapa mpaka mtoni (extent)*
- *Masomo yatakuwa saa tatu. (time)*
- *Ndege yuko juu ya mti. (location)*
- *Kifo chake kilikuwa kwa kunyongwe. (cause)*
- *Nyumbani iliwekwa vizuri (manner)*
- *Maandamano haya ni juu ya kazi (matter)*
- *Mgonjwa yuko na daktari. (accompainment)*

٣. (*Possessive*) ويقصد بها أن تكون العلاقة بين عنصري الجملة الرئيسيين علاقة ملكية [٩] وذلك مثل: *the piano is Peter's*، فالعلاقة بين (*the piano*) و (*Peter*) علاقة ملكية، ويطلق على الفاعل فيها *possessor* والعملية (*possising*) والمفعول (*possessed*).

كما أطلق هاليداي على نوع آخر من العمليات اسم (***verbal process***) (عملية قولية) ويقصد بها الكلام المباشر وغير المباشر [١٠]، وتتكون هذه العملية الواحدة من عبارتين متعلقتين ببعضهما فكل منهما متمم دلاليا للآخر، ويطلق على الفاعل (***Sayer***) (القائل) ويطلق على فعل القول (***process***) وجملة القول إذا كانت مباشرا أطلق عليها (***Quoted***) (مقتبس) وذلك مثل:

'mimi	*ni*	*John*	*alisema*
	↓	↓	↓ *mgonjwa*
	Quoted	*process*	*sayer*

أما إذا كانت جملة القول غير مباشرة فيطلق عليها (***reported***) (كلام منقول) مثل:

John	*alisema*	*yeye*	*alikuwa*
↓	↓		↓ *mgonjwa*
reported		*process*	*sayer*

وتعد جملة القول بطبيعتها جملة معقدة، لأنها تحتوي على عبارة متضمنة أخرى، وفي العملية القولية قد يعود فعل القول إلى فاعل عاقل أو غير عاقل يبدأ بـ (***ku***) أو (***po***)، كما لا يشترط في مقول القول المباشر أن يوضع بين علامتي تنصيص، حيث تلعب الدلالة والسياق دورا في ذلك.

الخاتمة والنتائج

قام الباحث بالوقوف على التطور الذي طرأ على بناء الجمل في لغة الصحافة السواحيلية، لمعرفة مدى التزام الصحافة المعاصرة بقواعد اللغة السواحيلية الفصحى، أو خضوعها لمتطلبات نقل مضمون الرسالة الصحفية للقارئ، إضافة إلى الوقوف على أكثر العمليات الوظيفية استخداما في لغة الصحافة، والتي كاب أبرزها العملية اللفظية (*verbal process*) يليها المادية والذهنية وآخرها العلائقية.

الهوامش

(١) المنيزل، تمام حمد، (٢٠٢٠)، الوظيفية عند هاليداي، دراسة تحليلية، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد ٢ العدد الأول، ص ٤.

(٢) رماش، عادل، (٢٠١٧) الملامح الوظيفية عند علماء العربية مقاربة في ضوء نظرية النحو الوظيفي، مجلة جامعة سطيف، العدد ١، ص ٣١.

(٣) انظر بتصرف *Halliday's introduction to functional grammar* ص ٣٠٠.

(4) Bloor & Bloor, ibid, P 112.

(5) Bloor & Bloor, ibid, P 115.

(6) ibid p 116.

(٧) انظر بتصرف هاليداي، (٢٠١٤) *Halliday's Introduction To Functional Grammar*، الطبعة الرابعة، حققه، *Christian M.I.M Matthiessen*، الناشرون مجموعة *Routledge Taylor & Francis Group*، لندن ونيويورك، ص ٢٦٢.

(8) انظر بتصرف bloor & bloor, 2004, p 125

(٩) انظر بتصرف هاليداي، Halliday's Introduction to Functional Grammar، ص ٢٩٤.

(١٠) المرجع السابق، ص ٣٠٢.

المراجع:

١. المنيزل، تمام حمد، (٢٠٢٠)، الوظيفية عند هاليداي، دراسة تحليلية، المجلة الدولية للدراسات اللغوية والأدبية العربية، المجلد ٢ العدد الأول.

٢. رماش، عادل، (٢٠١٧) الملامح الوظيفية عند علماء العربية مقاربة في ضوء نظرية النحو الوظيفي، مجلة جامعة سطيف، العدد ١.

٣. نحلة، محمود أحمد، (٢٠٠١) علم اللغة النظامي، مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، ملتقى الفكر، الطبعة الثانية.

(10) *Morley, (1985) G. D, An Introduction to Systemic Grammar, Macmillan publishers ltd, London, P 45.*

(2) *Halliday's Introduction To Functional Grammar Christian M.I.M Matthiessen, Routledge Taylor & Francis Group*. Fourth edition 2014.